

تفسير البحر المحيط

@ 57 @ بأنهم يدعون من لا يستجيب . { غَافِلُونَ } : لا يتأملون ما عليهم في دعائهم من هذه صفته . .

{ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ } : جمع بينة ، وهي الحجة الواضحة . واللام في { لِلدَّٰخِقِ } ، لام العلة ، أي لأجل الحق . وأتى بالظاهرين بدل المضميرين في { قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، ولم يأت التركيب : قالوا لها ، تنبيهاً على الوصفين : وصف المتلو عليهم بالكفر ، ووصف المتلو عليهم بالحق ، ولو جاء بهما الوصفين ، لم يكن في ذلك دليل على الوصفين من حيث اللفظ ، وإن كان من سمى الآيات سحراً هو كافر ، والآيات في نفسها حق ، ففي ذكرهما ظاهرين ، يستحيل على القائلين بالكفر ، وعلى المتلو بالحق . وفي قوله : { لَمَّا جَاءَهُمْ } تنبيه على أنهم لم يتأملوا ما يتلى عليهم ، بل بادروا أول سماعه إلى نسبته إلى السحر عناداً وظلماً ، ووصفوه بمبين ، أي ظاهر ، إنه سحر لا شبهة فيه . .

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ } : أي بل يقولون افتراه ، أي بل يقولون اختلقه ؟ انتقلوا من قولهم : { هَذَا سَاحِرٌ } إلى هذه المقالة الأخرى . والضمير في افتراه عائد إلى الحق ، والمراد به الآيات . { قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ } ، على سبيل الفرض ، فإن حسي في ذلك ، وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه ، ولا يمهلني ؛ { فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِّنَ عِقَابِهِ } عقوبة الله بي شيئاً . فكيف أفتريه وأعرض لعقابه ؟ يقال : فلان لا يملك إذا غضب ، ولا يملك عنانه إذا صم ؛ ومثله : { قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } ؟ { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَانَ تَمْلِكْ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً } . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : (لا أملك لكم من الله شيئاً) . ثم استسلم إلى الله واستنصر به فقال : { هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ } : أي تندفعون فيه من الباطل ، ومراده الحق ، وتسميته تارة سحراً وتارة فرية . والضمير في فيه يحتمل أن يعود على ما ، أو على القرآن ، وبه في موضع الفاعل يكفي على أصح الأقوال . { شَهِيدًا بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتِكُمْ } : شهيد إليّ بالتبليغ والدعاء إليه ، وشهيد عليكم بالكذب . { وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } : عدة لهم بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر ، وإشعار بحلمه تعالى عليهم ، إذ لم يعاجلهم بالعقاب ، إذ كان ما تقدم تهديداً لهم في أن يعاجلهم على كفرهم . { قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعاءِ مَنْ الرُّسُلِ } : أي جاء قبلي غيري ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة

، والبدع والبديع : من الأشياء ما لم ير مثله ، ومنه قول عدي بن زيد ، أنشده قطرب : % ()
فما أنا بدع من حوادث تعترني % .
رجالاً عرت من بعد يؤسي فأسعد .
.
% () .

والبدع والبديع : كالخف والخفيف ، والبدعة : ما اخترع مما لم يكن موجوداً ، وأبدع
الشاعر : جاء بالبديع ، وشيء بدع ، بالكسر : أي مبتدع ، وفلان بدع في هذا الأمر : أي
بديع ، وقوم إبداع ، عن الأخفش . وقرأ عكرمة ، وأبو حيوة ، وابن أبي عيلة : بفتح الدال
، جمع بدعة ، وهو على حذف مضاف ، أي ذا بدع . وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون صفة على
فعل ، كقولهم : دين قيم ولحم زيم . انتهى . وهذا الذي أجازره ، إن لم ينقل استعماله عن
العرب ، لم نجزه ، لأن فعل في الصفات لم يحفظ منه سيبويه إلا عدى . قال سيبويه : ولا
نعلمه جاء صفة إلا في حرف معتل يوصف به الجمع ، وهو قوم عدي ، وقد استدرك ، واستدراكه
صحيح . وأما قيم ، فأصله قيام وقيم ، مقصور منه ، ولذلك اعتلت الواو فيه ، إذ لو لم
يكن مقصوراً لصحت ، كما صحت في حول وعوض . وأما قول العرب : مكان سوى ، وماء روى ،
ورجل رضى ، وماء صرى ، وسبى طيبه ، فمتأولة عند البصريين لا يثبتون بها فعلاً في الصفات
، وعن مجاهد ، وأبي حيوة : بدعا ، بفتح الباء وكسر الدال ، كحذر . . .
{ وَ مَآ أَدْرَى مَآ يُفْعَلُ بِي وَ لَآ بِرِ كُمْ } : أي فيما يستقبل من الزمان ، أي
لا أعلم مالي بالغيب ، فأفعاله تعالى ، وما يقدر لي ولكم من قضاياه ، لا أعلمها . وعن
الحسن وجماعة : وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ، ومن الغالب منا
والمغلوب ؟ وعن الكلبي ، قال له أصحابه ، وقد ضجروا من أذى المشركين : حتى متى نكون
على هذا ؟ فقال : ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أنزل بمكة ؟